

في إحدى يديه ويحمل في الأخرى - بفضل من الإمبراطور - حربة بطول الرجل ليدافع بها عن نفسه . وأطلق دب غاضب فاغراً فاه وهو يزمجر فمزق ثياب الراهب . وانطلق صياح الجهور وصراخه فجعل الحيوان أشد غضباً . ثم انقض الدب مرة أخرى على الراهب فخدشه بمخالبه وسحق رأسه وجسمه وانتزع منه الأمعاء والرجلين والدراعين كما يفعل هر بفار . ومزق رداءه الكهنوتي مزقاً حتى وصل الى اللحم والدم والعظم ، وهكذا افترس راهبه الأول . ولكن الدب قتل بدوره ومزق قطعاً على يد المدفعيين . وجاء دور الراهب الثاني والدب الثاني ، وكلاهما طازج جديد ، وهكذا اقتيد كل من الرهبان السبعة بمفرده حتى تم افتراسهم على الطريقة نفسها عدا راهباً أكثر خبثاً من الآخرين تمكن من استعمال حربته بمهارة مسنداً طرفها على الأرض وموجهاً طرفها الآخر الى صدر الحيوان ، فلما انقض هذا عليها اخترقت صدره ولكن دون أن يمنعه ذلك من افتراس الراهب ، ومات الإثنين في اللحظة نفسها . وقد رفع هذا الراهب الى مرتبة القديسين على يد الأخوة من الرهبان الذين بقوا على قيد الحياة في دير ترويتسكي . وإذا كانت هذه التسلية ممتعة للإمبراطور وبقية المشاهدين فإنها كانت رهيبة ومقززة في نظر كل الرهبان الذين كانوا قد دعوا الى هذا الاجتماع كما رأيت ، وكانت النتيجة أن اختير سبعة آخرون منهم ليعاقبوا بالحرق » .

فانقيصر إذن لم يكن يخشى الكنيسة لأن المتروبوليت لم يكن يتجرا على حرمانه وقد تحداه علناً فيما كان يرتكبه من خطايا . فلا ينبغي الظن أنه كان يخشى غضب رجال الدين الذين يملكون الأراضي والعقارات إذا تعدى على ممتلكاتهم . وهكذا نفذ مشروعه وشاركهم مشاركة جوهرية في أموالهم بحيث غلوى ميزانياته القتالية والشخصية على السواء . والأكثر من ذلك أنه أقنع الكنيسة بأن تتخلى في المستقبل عن اكتساب الملكيات سواء عن طريق الشراء أو طريق الهبات . ولكن هذا التخلى ما لبث أن أصبح جبراً على ورق بعد حين ، فالرجال والنساء كانوا متطيرين فلم يستطيعوا أن ينسوا أن عليهم شراء دخولهم التي